

Invitation à signer

Cher compatriote, si le contenu de ce texte correspond à des orientations que vous auriez préconisées pour les dirigeants du Sénégal, nous vous invitons à le signer (Voir le site : <http://www.arabisants.org>) et à œuvrer pour qu'un nombre important de nos compatriotes vous imite. Ce qui nous permettra d'attirer l'attention de nos gouvernants sur la nécessité de bien miser sur tout notre héritage socio-culturel et de mieux investir notre patrimoine intellectuel et spirituel pour un développement harmonieux du Sénégal.

Ce texte sera édité avec la liste des signataires et remis au nouveau Président de la République du Sénégal.

دعوة للتوقيع:

مواطني العزيز، إذا كان مضمون هذا النص يُوافق ما تُريد أن توصيه كتوجه لقادة السنغال، ندعوكم للتوقيع عليه (ادخل الموقع : <http://www.arabisants.org>) والعمل ليقوم بإمضائه أكبر عدد ممكن. إذ سوف يسمح ذلك بلفت نظر حُكامنا إلي ضرورة الاعتماد علي تراثنا الاجتماعي والثقافي واستثمار كل تراثنا مواردنا الفكرية والروحية لتنمية وطننا العزيز بانسجام. سوف ينشر هذا النص مع قائمة الموقعين لتسليمه بعد الانتخابات إلى رئيس جمهورية سنغال.

Prénoms الإسم	NOM اللقب	Fonction الوظيفة	Lieu de résidence مكان الإقامة	E-mail البريد الإلكتروني

دعوة إلي المرشحين لرئاسة سنغال : ضرورة استثمار كل تراثنا الفكري والروحي

إخواننا المرشحين؛

إن سنغال كما تعلمون، كانت في مفترق طرق التأثيرات الشرقية و الغربية. فإهمال هذا الانتماء المزدوج وعدم اعتباره كما ينبغي، عاب خطط تنميتنا و نقص من فاعليتها. و غني عن القول إن من الضرورة استثمار كل تراثنا الفكري والروحي، و استخدام كل إمكانياتنا للنجاة من سوء التنمية والتغلب على التخلف. في ما يلي نلخص لكم بعض شواغل المواطنين، آمليين أن تضعوها نصب أعينكم وتعتبروها من أولويات برنامجكم الانتخابي و الرئاسي.

أ) عن مكانة اللغة العربية

عزيزي المرشح، لنتذكر هنا الحقيقة الجلية. إن العربية كانت، قبل وصول الفرنسيين بمدة مديدة، اللغة المكتوبة و المدروسة الوحيدة في السنغال. ولذا لا يمكن أن تُعدَّ كلغة مدرسية ثانوية كما يزعم البعض. فهي، من المنظور التاريخي، أسبق اللغات التعليمية والإدارية و الدبلوماسية لهذا البلد. إذ أنها علي أساس بناء أول مدرسة سنغالية. هذا المنار الذي انجذب إليه طلبة العلوم الإسلامية من المناطق المجاورة. فهذه اللغة هي التي أعطت شعب هذا البلد أبجديته الأولى، ومخطوطاته السالفة وكذلك متفقيه الأوائل الذين كانوا له عنوانا في كل بقاء العالم. بواسطتها وصلتنا أعمال شيخ عمر الفوتي تال الجليلة؛ بها كتب الشيخ موسى كَمَر تاريخ سنغال وكذا استخدمها الشيخ الحاج إبراهيم نياس لإعطاء الثقافة السنغالية مكانتها علي منابر شتي في العالم. لنتذكر أيضا أن العربية كانت اللغة الرسمية للدولة الأئمة في فوتا جالون، والمستخدمة للاتصال بين الإدارة الفرنسية و الارستقراطية المحلية. فهي حاليا لغة زعماء الدين الإسلامي. فكتابات الحاج مالك سي و أحمدو بامبا امباكي والعديد من العلماء محفوظة بحروفها. علما بأن هذه الكتابات هي التي تساعد علي وصف و تحديد الثقافة السنغالية.

لم يزل، منذ ذلك الحين، تعلق السنغاليين باللغة العربية قويا. إذ أنهم مازالوا يتشبثون بنظام التعليم العربي الإسلامي. فطلبات الالتحاق بمدارس العلوم الإسلامية مازالت مرتفعة، علي الرغم من التقريع المستمر الذي تقوم به وسائل الإعلام والمنظمات الغير الحكومية الساعية للحصول علي دعم من الغرب . فالفصول الدراسية المسائية في المعهد الإسلامي بدار، يملؤها كبار موظفي الدولة نادمين عدم تعلمهم لغة القرآن أثناء طفولتهم. زد علي ذلك، أن آلاف من شباب سنغال يغتربون كل عام للالتحاق بمعاهد وجامعات عالم العربي. أظهرت دراسة حديثة (مامادو يوري سال، 2009) كُون سنغال في المركز الثاني، بمعيار عدد خريجي الأزهر بين 1961 إلي 2005، في ترتيب البلدان الأفريقية بعد السودان العربية. كما أظهرت أيضا، خلافا للشائعات، إن نسبة العلميين بين خريجي الأزهر تُجاوز نسبة مُماتليهم من النظام التعليمي الرسمي في السنوات العشر الأخيرة (34% من أقسام غير أدبية مقابل 27%).

ولذا، يُعتبر من الغرابة البالغة عدم استثمار هذه الثروة و استغلال هذه اللغة كأى مورد!

ب) أهمية اللغة العربية حالياً

إن التحولات الاجتماعية والثقافية التي نتجت عن دخول الإسلام تختلف من بلد إلى آخر. فالإنعكاس اللغوي لهذه التغيرات تابع لمدى استقبال أو استيعاب تركة الغازي الغربي. علماً بأن المستعمرين الأوروبيين فعلوا المستحيل لنشر "حضارتهم" و القضاء على الثقافة العربية الإسلامية التي مكنت الوطن من مقاومتهم. من المؤسف أن القادة الذين جاؤوا بعدهم لم يغيروا شيئاً من أساس هذا المشروع. فكونهم من مجموعة الناطقين بالإنجليزية أو الفرنسية منَعهم من رؤية أية فائدة في لغة أخرى. هكذا أهملوا اللغة العربية فتركوها بلا قيمة خارج دور العبادة. لم يعترفوا قط كواسطة قابلة للاستخدام في أي نطاق. ولذا، أختزلت العروبة اللغوية لهذه البلدان إلى العروبة القرآنية أو الإسلامية. طبعاً، هذا النهج قد نجح في الماضي. إذ مكّن من دفن اللغات الأصلية للكتب المقدسة المسيحية أو اليهودية فأصبحت غير جارية.

لكن اللغة العربية صمدت أمام هذه الخطة. فهي الآن سادسة اللغات عالمياً بمقياس عدد الناطقين، أمام الفرنسية الحادية عشر (Louis-Jean Alain et Calvet , 2009). الغير الأميون بها من السنغاليين يُقدرون بحوالي 26 ٪ حين يمثل القارعون باللغة الفرنسية 38 ٪. فهي، علي حساب الرسمية، اللغة الدراسية السائدة في أقاليم ديوربيل، كاواك، لوغا، سانت لويس و ماتم (RGPH ، 2002).

إضافة إلى ذلك أن للثقافة العربية الإسلامية موضع اهتمام خاص في العالم الغربي منذ حادثة 11 سبتمبر 2001. كما أصبغت الأزمة المالية لهذا الاهتمام بُعداً اقتصادياً. فبلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE تبذل الآن قصاري جهدها لتتمكن من التفاهم والتفاوض مع حاملي تلك الثقافة. في السنغال، تستغل الحكومة الحالية انتماء سنغال إلى العالم الإسلامي لتوطيد علاقتها الاقتصادية مع البلدان العربية. لكن هذا النهج لم يُعط بعد كل الثمار المرجوة! إذ أن لغة محمد (عليه الصلاة والسلام)، بدلا من أن تكون ميزة تنافسية، فهي عائقة لمعظم أعضاء الحكومة السنغالية. من الغريب أن بإمكان هؤلاء تمثيل الشعب بأية لغة ما عدا تلك التي يقاسمها مواطنوهم مع العرب. و لذا، لم تتسم علاقات سنغال الدبلوماسية و التجارية مع العالم العربي والإسلامي حتى الآن بفاعلية تُذكر.

ج) ضرورة استثمار كل تراثنا الفكري والروحي.

قد تم هذه السنة تنظيم المهرجان العالمي الثالث للفنون الزنجية، لإثبات مساهمة السود في الحضارة الإنسانية لعالم القرن الحادي والعشرين و تفكيك حجج منكري التاريخ و المتشائمين في حال أفريقيا. ولكن، حين قيام انصار الزنوجة و مُروجو قيم السود بهذه المهمة ، لم يحاولوا زمناً إبداء أهمية تراث سنغال الفكري والروحي. لما أشادوا يوماً بمتفقيها الأوائل. لما اعتبروا قط من ملؤوا قرني الثامن عشر و التاسع عشر أدبا من أبنائها. لما أبرزوا وقتاً عراقية مدرسة سنغال الشرقية الأصل ودورها في أنسنة و تحرير الشعب إذ مكنته من الحفاظ على ثقافته. كما أنهم لم يروا لحظة ضرورة تسمية مؤسسة تعليمية علياً من المؤسسات العامة باسم رمز من رموز ثقافة سنغال الأوائل و لو يُزيف ذلك الصورة الأكاديمية السنغالية. أضف إلى ذلك. أن مدنا العلمية العريقة ك بير سانيوخور (Pir saniokhor)، سينتيو (Sinthiou) انفجلون (Ngigilone) أو تيلون (Thilogne) أصبحت في نظرهم مثل أية قرية غير جديرة بالاعتبار في السنغال. بعبارة أخرى، لم يكن قط

في وَسع هؤلاء الحكّام، تسليط الضوء على إرث الروحي والفكري للسنغال كثراء تركه شيوخ الطرق الصوفية لصالح هذا الوطن. لم يعترفوا أبداً بأن التاريخ الثقافي السنغالي، لا يُمكن أن يُكتَب مع تجاهل دورهم، كما أن المكتبة العلمية لهذا البلد بلا أعمالهم سوف تكون فقيرة جداً
لم يقتنع حُكامنا وقتاً من أن اسم سنغال يُمكن أن يُكتَب أيضاً من اليمين إلى اليسار دون أي عيب من قيمتها، كما أن الحروف الأبجدية المستخدمة في هذا البلد لم تتحصر في عدد حروف أوروبا الستة و العشرين.

أعزّانا المرشحين، ندعوكم إلى القيام بقدر طاقتكم لسد هذه الفجوات و رد اعتبار حكماننا و عظماء أدياننا، بدلاً من الازدراء التي تظهره حكومات سنغال في ما يتعلق بهم حتى الآن.

د) ضرورة تغيير التوجه التعليمي والإداري

لنعترف (ليس ذلك من السهل) أنه من الصعب قيادة وطن بفعالية مقبولة إن لم نتشرب ثقافة شعبه. لأن هذه الثقافة هي اسمنت الأمة وعامل التقريب بين القادة وشعبهم. في السنغال، شئنا أم أبينا، تكونت هذه الثقافة من إسهامات عربية و غربية، زيادة علي ما كانت موجودة محليا. وتعد هذه الإسهامات، مثل الثقافة الفرنسية اليهودية المسيحية، من ميزتنا. فهي من عوامل التماسك، والتعبئة والكفاءة للتأثير في هذا المجتمع. و يجب أن يُجسّد هذه الثقافة كلٌّ من يمثل السنغال لكونها زينة الشعب. من الأمسؤولية ارتداؤها فقط ساعة المنافسات الانتخابية لكسب الثقة الشعبية أو عرضها بُغية استضافة قمة مؤتمر إسلامي. وكذا، من البساطة البالغة معالجة المشكلة بعرض وظائف للمستعربين أو اعتماد ساعتين أسبوعيا للتربية الدينية في المناهج الدراسية الابتدائية. أضف إلى ذلك أن " تحديث الكتاتيب "، إذ تحدّ من طموحات الطلبة باللغة العربية لألا يتجاوزوا المستوي الإعدادي، لا يمكن أن يكون حلا مقبولا.

لصالح الأمة، يجب أن تكون حياة هذه الثقافة من الشروط اللازمة للإنتخاب و التوظيف و كذا للوصول إلى مناصب المسؤولية العليا، السياسية أو غيرها. إذ أن عدم رفعها إلى هذا المستوي، يقلل بلا شك من إمكانيات هذا البلد. ولذا، نعتبر أن من الأوليات تغيير التوجه التعليمي والوظيفي

1) إنشاء نظام تعليمي متكامل ،

بعد اعتمادها المشروع التربوي الفرنسي كأصلح ما يكون لسنغال، لم يعد ممكنا للدولة، في نفس الوقت، إعطاء أي اعتبار للمدرسة السنغالية العريقة. علما بأن نموذج التعليم الفرنسي يتسم أصلا بالتميز و التفرد. إذ كان غرضه فرض لغة الملك فرانسوا الأول (1935) مع العلمانية الأكنسية في جميع أنحاء فرنسا. ولكن بعد عدة قرون، قد تقرّر أن هذا النموذج لا يُجدي. إن المجتمع الفرنسي لم يتعلّم حتى الآن، كما أن هيمنة لغة الملك غير مقبولة علي سائر البلد. تتزايد الطوائف الدينية في فرنسا، وأهالي كورس Corse والباسك Basques يطالبون استخدام لغاتهم و نشر ثقافتهم في المدرسة الجمهورية الديمقراطية العريقة. أضف إلى ذلك أن اللغة الإنجليزية تدرس الآن في الصفوف الابتدائية لهذه المدرسة.

ها هي ذا العيوب التي ورثتها مدرسة سنغال الرسمية. و لذا، ليس من الغريب أن تهتمّ حكومتها المدرسة العربية الإسلامية وتحتقر خريجها لإبعادهم من إدارة الوطن. يُوكّل السلطة (الزمنية كمايقولون) علي الذين تتلمذوا من نظام جول فيري Jules Ferry مع ما يناسبه من التقدير السياسي والاقتصادي، حين يُعهد

علي الشيوخ، حفظة القرآن، السلطة الروحية (الأخروية!). لأن النخبة الحاكمة لا تعترف لهم أية كفاءة غير دينية. في وجهة نظر الرئيس الأسبق سنغور، أن الثقافة السنغالية المُعبَّرة بالعربية لا تستحق أي اهتمام، فحاملوها، لا يمكن الاستفادة منهم خارج المساجد و دوائر التعليم الدينية. وخلفه عبده ضيوف لم يُخفِ تشكُّكه في إمكانية استخدام المستعربين. وكذا يقضي الرئيس الحالي، عبد الله واد، وقته في مشاريع تحديث الكتابات "بغية الالتزام بمشروع اينوسكو Unesco: التعليم للجميع قبل عام 2015. و بعبارة أخرى، لم ير قط قادتنا أن المدرة الرسمية هي التي تحتاج إلى تحديث. إذ أنها لا تُروى ظمًا معظم الأسر السنغالية. فغالبية الآباء يُكمّلون تربية أولادهم بالالتجاء إلى المدارس القرآنية. كما أن العديد من الموظفين الكبار يعودون إلى المدرسة لمعرفة أساسيات دينهم و فهم قيم مجتمعهم .

هنا، نُعاين ما أداه إلينا هذه الرؤية الازدواجية للمدرسة. إذ أن الحكومة السنغالية، فكَّ النظام التعليمي بدلا من إقامته متكاملًا. لم تُرد قط إلا تهميش المدرسة التقليدية و التقليل من شأن قيمة الثقافة التي يتفاخر بها جُلّ السنغاليين. فأدى ذلك إلى ما نلاحظه من انقسام: وجود طلبة القرآن و العلوم الإسلامية من ناحية و تلاميذ المدرسة الرسمية، المتمتعين بكل رعاية الدولة علي حساب كآفة دافعي الضرائب، من ناحية أخرى. بيدَ إن إرادة الغالبية العظمى من الآباء، الخاصة بتربية أولادهم ليتأهلوا اجتماعيا، لم يُؤخذ بعين الاعتبار. تُركوا مع أنفسهم في تمرُّق شديد.

لاشك أن الآباء والأمهات حاليا ينتظرون من دولة سنغال بناء مؤسسة تعليمية متكاملة تُمكن أبناءهم من إتمام كل المراحل الدراسية مع شهادات معترفة رسميا. كذا سوف تعود منار العلوم الإسلامية حيث كان في سنغال، ينتشر أشعتها في جميع أنحاء المنطقة. لذلك، ينبغي علي الدولة توزيع الضرائب المجموعة من جميع الآباء بعدالة، معطية النظام التعليمي التقليدي حقه. وإلا، كل ما تفعله يُعتبر مجرد عرض عضلات و تجاوز سلطوي. إذ أن حق الأطفال في معيشة محترمة وتعليم معترف، يتأني قبل حقوق الأجانب والمواطنين الأثرياء في عدم مشاهدة الفقر أو ملامسته.

أعزائنا المرشحين، ندعوكم إلي مراجعة المشروع الوطني التعليمي و اعتبار الاحتياجات التعليمية للمجتمع السنغالي. أن الأوان لإدماج نظامي التعليم الإسلامي و الرسمي لتكوين مدرسة جمهورية متكاملة.

من المعروف، أن المستعمر حدَّ من اندفاع سنغال التنموي، ولكن هل يمنعها ذلك من إعادة النظر في الطريقة التي رسمها هذا الغريب؟ لهذه الغاية، ينبغي إعادة استثمار كل ثرواتها الثقافية والعلمية. لذلك. فلا بد من حماية كل اللغات الوطنية بالإضافة إلى تلك الدخيلة لحشد كل القوى السنغالية. إن عدم اعتبار تعدد اللغات في هذا البلد بُغية تعزيزها، لكونه المزج الحقيقي الجدير بالاحترام، خسارة فادحة. فعدم اهتمام الدولة برغبة المجتمع في طلب العلوم الإسلامية أو غيرها باللغة العربية، يؤدي حتما إلي عواقب غير مفضلة! لهذه الغفلة، فقدت السنغال سُمعتها كمنار العلوم الإسلامية في غرب أفريقيا. زد علي ذلك، أن من الخطورة ازدهار نظام التعليم العربي الإسلامي خارج رعاية الدولة. لذا، تُعدُّ هذه الأخيرة مسؤولة عن كل ما يحدث في المدارس القرآنية. فالأضرار البشرية و الاجتماعية الملحوظة فيه يعتبر من عواقب غفلة الدولة الأثمة. أضف إلى ذلك، إن إرسال الشبان إلي الخارج لتربيتهم، تُكَلِّف ما لا تطاق من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. كما أنه من الإسراف عدم الاستفادة بمهارات من تخرجوا منهم في الجامعات

2) الاعتماد على إدارة كفاء فنية واعية اجتماعيا.

إن علي سنغال استغلال كل ثرواتها الثقافية و العلمية لألا تتأخر في هذا العالم التنافسي. لا يجدي شيئا إخفاء استعرابها كما لا يفيد تمويه إمكانياتها في العلوم الإسلامية. فالوضع السياسي للغة العربية يجب أن يوازي مكانتها الاجتماعية. من ثم، يُصبح إتقانها معيار الكفاءة الاجتماعية والثقافية لشغل أية وظيفة عامة و هامة في هذا البلد. و إلا، ستظل النخبة الحاكمة فاقد الاعتبار اجتماعيا. فذلك ما نلاحظه كل ما التقت هذه الأخيرة بالنخبة الاجتماعية الدينية. فالخطاب الرسمي في هذه المناسبات يتسم بالنفاهة، وممثلوا الدولة فيها يتمتعون بأدنى تقدير.

أعزاءنا المرشحين، ندعوكم إلى رفع مستوى التوظيف و اختيار النخبة الإدارية. لهذا الغرض، ينبغي إضافة الثقافة الاجتماعية إلى معايير الكفاءة التقنية البحتة.

أعزاءنا المرشحين، ندعوكم إلى اعتبار هذه الشواغل والوقوف لتغيير الأمور، ونتمنى لكم حظا طيبا.

المبادر: مامادو يوري سل / أستاذ / باحث في جامعة غاستون برجيه السنغالية
تحت رعاية: إتحاد خريجي الجامعات المصرية من سنغال
الإتصال: sarr_250@yahoo.fr; ndiaye_youssouph@hotmail.com

[ادخل الموقع: http://www.arabisants.org](http://www.arabisants.org)